أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم

٩٥

آيات و قصة

جنات سبأ وجزاء الكفور



رزق هيبة



أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

٩٥

جنات سبأ وجزاء الكفور

تأليف
رزق هيبه

رسوم
صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ
كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ
(١٥) فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ
جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ
(١٦) ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ (١٧)
وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ
وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨)
فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ
شَكُورٖ (١٩) وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ
إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ (٢١) سُورَةُ سَبَإٍ

مَعَانِي المُفْرَدَاتِ:

آيَةٌ: عَلامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ عَلَى الخَلْقِ وَالإِنْشَاءِ.

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ: كَثِيرَةُ الثِّمَارِ وَالخَيْرَاتِ لِطِيبِ هَوَائِهَا.

أَعْرَضُوا: انْحَرَفُوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَعَصَوْا أَوَامِرَهُ، وَلَمْ يَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَهُ.

العَرِمُ: هُوَ اسْمُ السَّدِّ الَّذِي صَنَعُوهُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ لِيَخزِنُوا المَاءَ خَلْفَهُ، وَهُوَ سَدُّ مَأْرِبٍ.
وَقِيلَ: العَرِمُ هُوَ المَطَرُ العَارِمُ الشَّدِيدُ الَّذِي هَدَمَ ذَلِكَ السَّدَّ.

أُكُلٍ خَمْطٍ: الخمطُ كُلُّ شَجَرٍ أَوْ نَبْتٌ فِيهِ مَرَارَةٌ وَلا يُمْكِنُ أَكْلُهُ.

أَثْلٌ: شَجَرٌ لَهُ أُصُولٌ غَلِيظَةٌ تُؤْخَذُ مِنْهُ الأَخْشَابُ.

سِدْرٌ: شَجَرٌ لَهُ ثَمَرٌ يُؤْكَلُ، وَهُوَ النَّبْقُ، وَلَهُ وَرَقٌ يُفِيدُ فِي الاغْتِسَالِ.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ: كَفَرُوا بِنِعَمِ اللهِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ تَعَاسَةَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الآخِرَةِ، فَكَانُوا ظَالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَظْلِمْهُمْ أَحَدٌ.

جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ: جَعَلْنَا لَهُمْ قِصَّةً وَأَخْبَارًا يَتَنَاقَلُهَا النَّاسُ، وَيَضْرِبُونَ بِهِمُ الأَمْثَالَ.

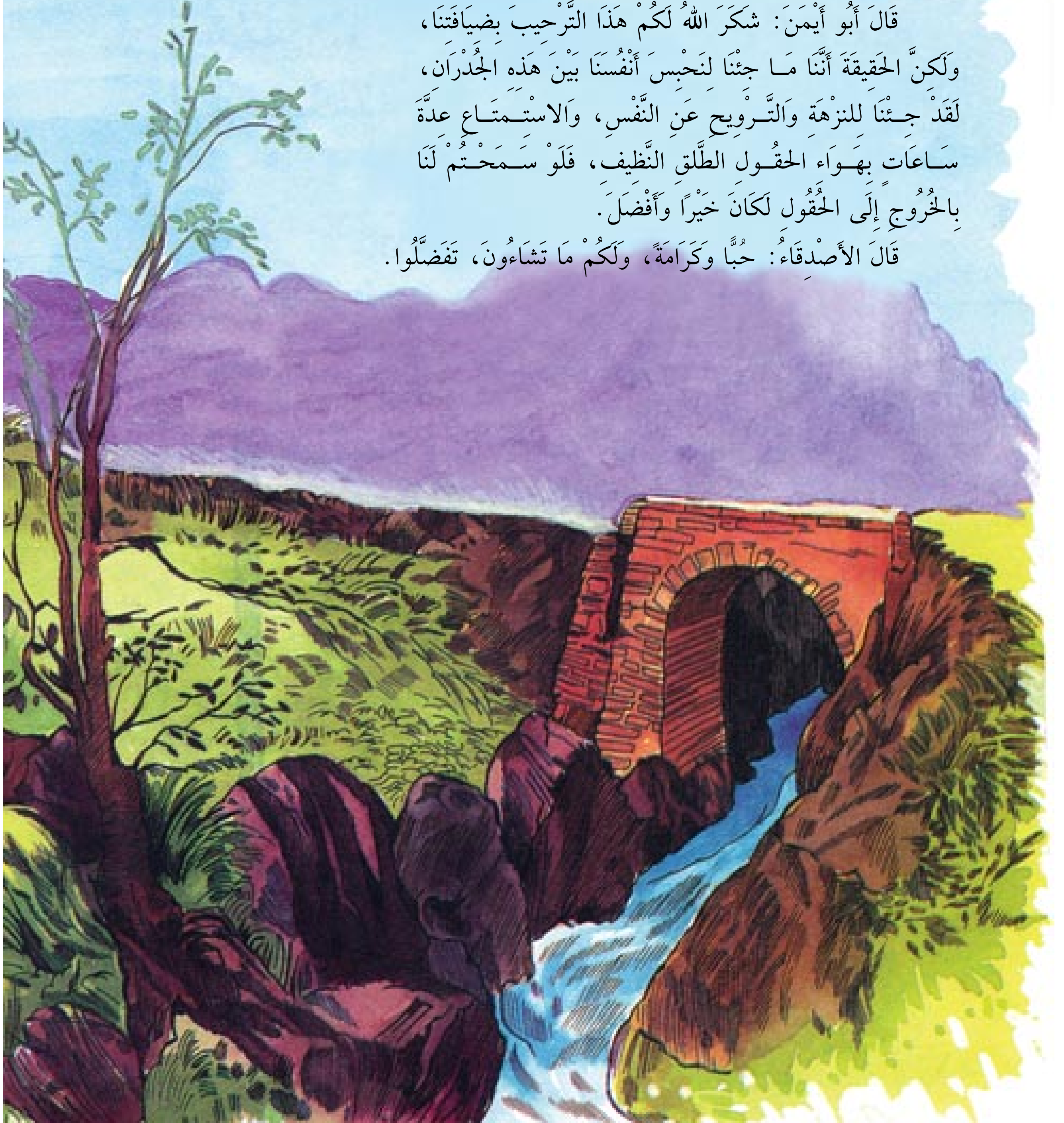
مَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ: تَفَرَّقُوا فِي الْبِلادِ، وَتَغرَّبَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ كَأَنَّهُمْ جَسَدٌ قَدْ تَمَزَّقَ وَصَارَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ فِي مَكَانٍ.

وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ: يَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ، وَيَكْتُبُ أَعْمَالَهُ، ثُمَّ يُجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ.

كَانَ الْيَوْمُ يَوْمَ عُطْلَة، وَانْتَهزَت الأُسْرَةُ الفُرْصَةَ لِتَجعلَهُ يَوْمًا لِلنُّزْهَة، بَعيدًا عَنِ المَدينَة وضوضائها، وَاقْتَرحَ الْوَالِدُ أَنْ يَقْضُوا هَذَا الْيَوْمَ فِي القَرْيَة، بَيْنَ الحَقُول النَّاضرَة، وَالأَشْجَار المُثْمرَة، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ، حَتَّى كَانُوا هُنَاكَ، ضُيوفًا عَلَى بَعْضِ الأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ رَحَّبُوا بِهِمْ، وَفَتَحُوا لَهُمْ دَارَ الضِّيَافَة.

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: شكَرَ اللهُ لَكُمْ هَذَا التَّرْحِيبَ بِضيَافَتِنَا، وَلَكِنَّ الحَقيقَةَ أَنَّنَا مَا جِئْنَا لِنَحْبِسَ أَنْفُسَنَا بَيْنَ هَذه الجُدْرَان، لَقَدْ جِئْنَا لِلنزْهَة وَالتَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ، وَالاسْتِمْتَاع عِدَّةَ سَاعَات بِهَوَاء الحقُول الطَّلق النَّظِيف، فَلَوْ سَمَحْتُمْ لَنَا بِالخُرُوجِ إِلَى الحُقُول لَكَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ.

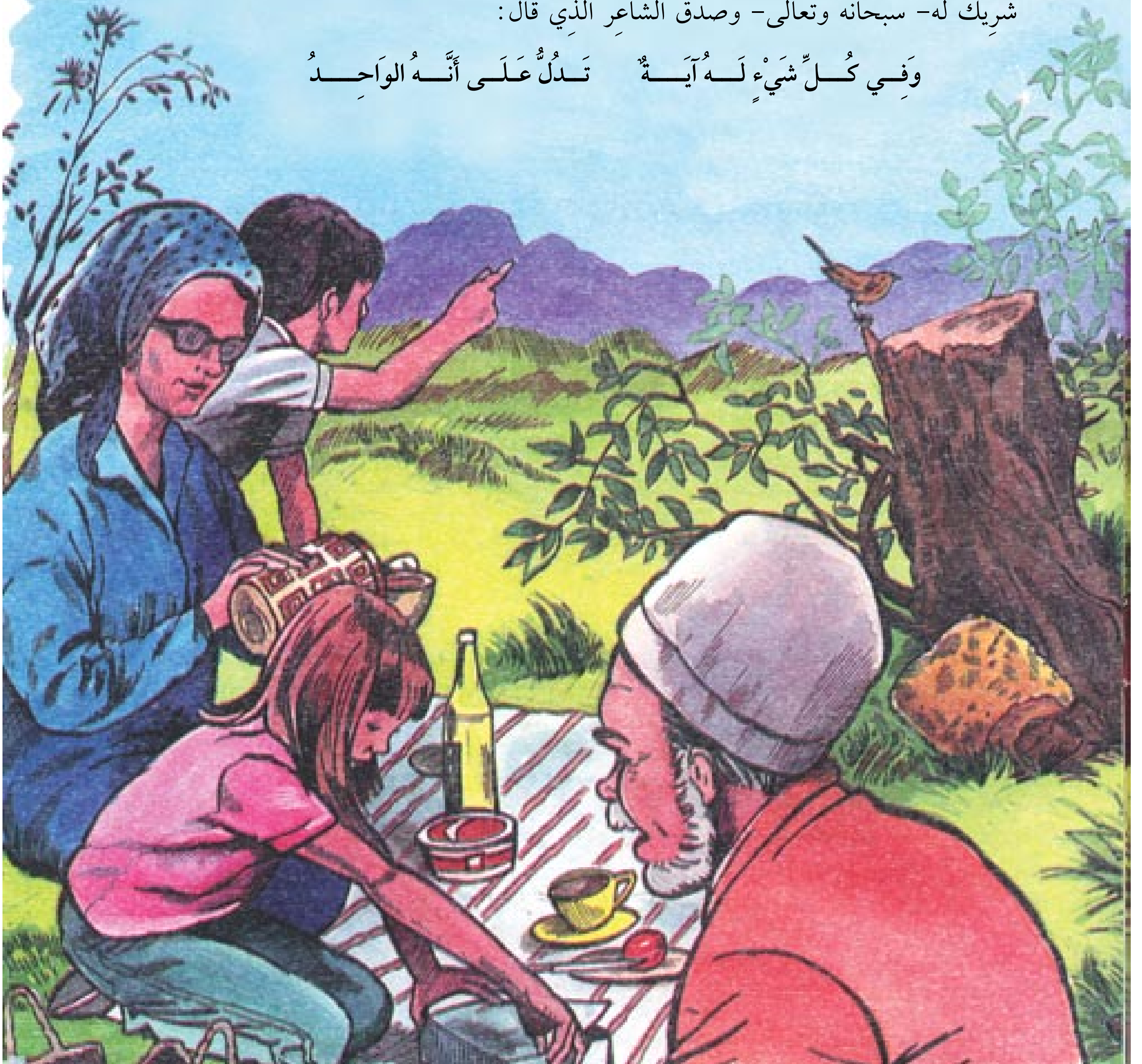
قَالَ الأَصْدِقَاءُ: حُبًّا وكَرَامَةً، ولَكُمْ مَا تَشَاءُونَ، تَفَضَّلُوا.



وَخَرَجَ أَبُو أَيْمَنَ وَالأُسْرَةُ، ومَعَهُمْ أَصْدِقَاؤُهمْ، تَجَـوَّلُوا قَلِيلاً، ثُمَّ جلَسُوا يَسْتَرِيحُونَ، وَتَلَفَّتَ أَبُو أَيْمَنَ حَوْلَهُ ولَمْ يَنْسَ رِسَـالَتَهُ الَّتِي هِيَ التَّذْكِيرُ بِنِعَمِ اللهِ فِـي كُلِّ مكَانٍ يَحِلُّ فِيهِ، فَقَالَ:

إِنَّ هَذِه الحُقُـولَ النَّاضِرَةَ وَالمِيَاهَ الجَارِيَةَ ، وَالنَّـبَاتَاتِ المُزْهِرَةَ، وَالأَشْجَارَ المُثْـمِرَةَ، دَلِيلٌ صَادِقٌ عَلَى وُجُـودِ اللهِ- سُبْحَانَهُ وتَعَـالَى- وَقُدْرَتِهِ عَلَى إِبْدَاعِ خَلْقِهِ، وَأَحَـدِيَّتِهِ فِي مُلْكِهِ لا شَرِيكَ لَهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَصَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ:

وَفِـي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَلَـى أَنَّـهُ الوَاحِـدُ



وَقَـدْ تكَفَّلَ اللهُ- سُبْـحَانَهُ وتَـعَالَى- بِالمَزِيدِ مِنَ الرِّزْقِ وَالسَّـعَـادَةِ لِمنْ يَشْكُرُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ، ويُؤَدِّي للهِ حَقَّهُ مِنَ الْعِـبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا تَـوَعَّدَ الْكَافِرِينَ الجَاحِدِينَ لِنعَـمِه بِالهَلاكِ وَالعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَصَدَقَ اللهُ تَعَالَي فِي قَوْلِهِ: ﴿ ... **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ۝٧ ﴾ [**إبراهيم**]، وَلَقَدْ صَـدَقَ اللهُ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيـدِهِ، وَأَنْزَلَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَلَى نَبِيِّهِ مُـحَمَّدٍ ﷺ بَعْضًا مِنْ قَـصَصِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ لَمْ يَتَّبِعُـوا الرُّسُلَ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الدَّعْوَةِ لِلإِيمَانِ بِاللهِ، وَلَمْ يَتَّعِظُوا بِآيَاتِ اللهِ مِنْ حَوْلِهِمْ، وَلَمْ يَشْـكُرُوا النِّعَمَ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيهِـمْ، فَدَمَّرَ اللهُ عَلَيـهِمُ البُيُـوتَ، وَخَرَّبَ لَهُمُ الْبَـسَاتِينَ وَالحُقُـولَ، وَفَرَّقَهُـمْ فِي البِلادِ، فَصَارُوا أَمْـثِلَةً تُضْرَبُ، وَأَحَادِيثَ تُرْوَى، وَقِصَـصًا تُحكَى، لِيَتَّخِـذَ مِنْهُمْ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُمْ الْعِظَةَ وَالعِبْرَةَ، وَيَعمَلُوا عَلَى أَلا يكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي العِصْيَانِ وَالجُحُودِ، وَعَدَمِ الشُّكْرَانِ، وَمِنْ هَذِهِ القَصَصِ قِصَّةُ سَبَأٍ وَسَدِّ مَأْرِبٍ وَسَيْلِ العَرِمِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي سُورَةِ سَبَأٍ.

قَالَ أَيْمَنُ: وَمَاذَا كَانَتْ قِصَّةُ هَؤُلاءِ النَّاسِ، وكَيْفَ كَانَ عِصْيَانُهُمْ وَعِقَابُ اللهِ لَهُمْ؟.

قَالَ الوَالِدُ: يَقُولُ المُؤَرِّخُونَ، وَمُفَسِّـرُو الْقُرآنِ الكَرِيمِ: أَنَّهُ بَعدَ أَنِ انْتَهَى الطُّوفَانُ الَّذِي غَمَـرَ الأَرْضَ فِي زَمَنِ نُوحٍ عَلَيهِ السَّـلامُ، وَجَفَّتِ الأَرْضُ مِنْ آثَارِهِ، تَجـمَّعَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هَبَطُوا مَعَ نُوحٍ مِنَ السَّـفِينَةِ، وَقَـدْ أَفْزَعَتْـهُمْ آثَارُ هَذَا الطُّوفَانِ الْـهَائِلِ، وخطر بعـقولهم أَنَّ الأَرْضَ يُمْكِنُ أَنْ تَتعرَّضَ مَرَّةً أُخْـرَى لِمِثْلِ هَذَا الطُّوفَانِ، فَمَاذَا سَيَكُونُ مَصِيـرُهُمْ، أَوْ مَصِيرُ الأَجْيَالِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ؟.

إِذَنْ لابُدَّ أَنْ يَصْنَعُـوا شَيْـئًا يَحـمِيـهِمْ، وَيَحمِي ذُرِّيَّـاتِهِمْ فِي المُسْتَـقْبَلِ مِنْ مِـثْلِ هَذَا الطُّوفَانِ.

وَاجْتَمَعَ هَؤُلاءِ القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ نُوحٍ فِي السَّـفِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ، وَنَبِيُّ اللهِ نُوحٌ بَيْنَهُمْ يَسْمَعُ مُنَاقَشَاتِهِمْ، صَامِتًا، حَتَّى يَرَى مَاذَا سَتَنْتَهِي بِهِ نَتِيجَةُ هَذَا النِّقَاشِ.

قَالَ بَعْـضُهُمْ: انظُرُوا إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ المُتَّسِـعَةِ حَوْلَكُمْ، ثُمَّ انْـظُرُوا إِلَى قِلَّةِ عَدَدِكُمْ، كَيْفَ سَـيَكُونُ عَيْشُكُمْ فِـيهَا وَإِعَادَةُ تَعْـمِيرِكُمْ إِيَّاهَا؟ إِنَّ الوَاجِبَ عَلَـيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ صَالِحٍ نَعِيشُ فِيهِ مُتَعَاوِنِينَ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُنَا سَنَدًا لِبَعْضٍ، وَنَكُونَ خُلَفَاءَ الأَرْضِ الصَّالِحِينَ، كَمَا يُرِيدُ اللهُ مِنَّا.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَجِبُ أَنْ نَتَعَاوَنَ فِي بِنَاءِ صَـرْحٍ مَتِينٍ ضَخْمٍ يَحْمِينَا مِنْ الكَوَارِثِ ، وَمَا قَدْ يُصِيـبُنَا مِنْ تَقَلُّبَاتِ الزَّمَنِ وَمَصَائِرِ الأَيَّامِ، وَقَدْ جَرَّبْنَا بِأَنْفُـسِنَا مَا فَعَلَ الطُّوفَانُ، لَوْلا لُطْفُ اللَّهِ الذِى آوانَا فِى السَّفِينَةِ بِأَمْرٍ مِنْه تَعَالَى لِنَبِيِّهِ نُوحٍ– عَلَيهِ السَّلامُ– وَلَيْسَ فِي كُلِّ زَمَنٍ سَيَأْتِي نَبِيٌّ تَكُونُ لَهُ مُعْجِزَةٌ، وَلَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ سَتَكُونُ هُنَاكَ سَفِينَةٌ نَأْوِي إِلَيْهَا.

وَنَظَرَ نُوحٌ إِلَى أَصْـحَابِهِ، وَبَدَأَ يُعَـقِّبُ عَلَى مَـا قَالُوا وَيُذَكِّـرُهُمْ بِالخَالِقِ الَّذِي يُثِـيبُ المُطِيـعِينَ، وَيُدَمِّرُ الجَـاحِدِينَ، فِي أَيِّ زَمَـانٍ وَأَيِّ مَكَانٍ، لا يُعْـجِزُهُ بِنَاءٌ، وَلا يَعُـوقُ إِرَادَتَهُ صُرُوحٌ أَوْ جِبَالٌ. قَالَ نُوحٌ عَلَيهِ السَّلامُ:

أَيُّهَا الرِّفَاقُ، أَوَ لَمْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ الَّذِي أَنْجَاكُمْ مِنَ الطُّوفَانِ، وَأَعَادَكُمْ إِلَى الأَرْضِ آمِنِينَ سَالِمِينَ؟.

قَالُوا: آمَنَّـا بِاللهِ وَصَدَّقْنَاكَ فِيـمَا جِـئْتَنَا بِهِ، وَرَأَيْنَا آيَاتِ اللهِ، وَلَمَسْنَا قُـدرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَنَحمدُهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى أَنْ أَنْجَانَا، وَلَمْ يَجْعَلْنَا مَعَ المغْرَقِينَ.

قَالَ نُوحٌ: إِذَنْ، تَفرَّقُوا فِي الأَرْضِ، امْـشُوا فِيهَا، وَاسْعَوْا فِي مَنَاكِـبِهَا، وَاضْرِبُوا فِي دُرُوبِهَا، وَكُلُوا مِمَّا يَرْزُقُكُمُ اللهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَـدْ أَنْجَاكُمْ مِنَ الْغَرَقِ، وَأَبْقَاكُمْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ لِيَعْمُرَهَا بِكُمْ وَبِذُرِّيَّتِكُمْ مِنْ جَدِيدٍ.

قَالُوا: وَمَاذَا سَنَكُونُ نَحنُ بِعَـددِنَا هَذَا الْقَلِيلِ لِنعمُرَ هَذَا الْكَوْنَ الوَاسِعَ، وَنُعِيـدَ الحَيَاةَ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي لا يُحِيطُ بِاتِّسَاعِهَا إِلا اللهُ الَّذِي خَلَقَهَا؟.

قَالَ نُوحٌ: عَـجبًا لَكُمْ، أَوَلَيْسَ اللهُ قَدْ خلَقَ آدَمَ مِـنْ قَبْلُ إِنْسَانًا فَرْدًا وَحِـيدًا، لِيكُونَ خَليفَةً فِي الأَرْضِ، وكَانَتْ لَهُ ذُرِّيَّةٌ انْتَشرَتْ فِي جوَانِبهَا، وكُنْتُمْ أَنْتُمْ فُروعَ هَذِهِ الذُّرِّيَّة؟، إنَّ اللهَ الَّذِي أَعْمَرَ الأَرْضَ بآدَمَ وَهُوَ إِنْسَانٌ وَحِيدٌ، قَـادرٌ عَلَى أَنْ يُعيدَ إعْمَارَهَا بِكُمْ وبِذُرِّيَّتِكُمْ، وَهَا هِيَ الأَرْضُ أَمَامَكُمْ خَالِيَةً فَسِيحَةً، فَلْيَتَخَـيَّرْ كُلٌّ مِنْكُم مكَانًا صَالحًا مِنْهَا يُنَاسِبُ مَعيشَتَهُ وَقُدرَتَهُ عَلَى التَّـعميـرِ، وَهَاهُمْ أَوْلادِي الثَّلاثَةُ مَـعكُمْ: سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثٌ، سَـأُوَجِّهُ كُلَّ وَاحدٍ مِنْهُمْ إِلَى جِهَـةٍ مِنْ جِهَاتِ الأَرْضِ، وَلَكُمْ فِي أَوْلادِي أُسْوَةٌ وَقُـدْوَةٌ، وَأُوصِيكُمْ دَائِمًا بِذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا قَوْمًا صَالحِينَ.

وَسكَتَ أَبُو أَيْمَنَ قَلِيـلاً، يَلْتَقِطُ أَنْفَـاسَهُ، وَيَمـسَحُ حَبَّـاتٍ تَلأْلأَتْ عَلَى جَبِـينِهِ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ، قَالَ:

تَفَـرَّقَ أَبْنَاءُ نُوحٍ الثَّلاثَةُ فِي ثَلاثٍ مِنْ جِـهَاتِ الأَرْضِ، وَتَنَاسَلُـوا فِيـهَا، وكَانَ لِـسَامٍ خَمسَةُ أَبْنَاءٍ، تَفَرَّقُوا هُمْ أَيْضًا فِي جِهَـاتٍ مِنَ الأَرْضِ، وَكَانَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ يُسَمَّى أَرْفَخْشَذ بنِ سَامٍ، نَسَلَ ذُرِّيَّةً كَانَتْ مِنْهُـم قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ، سكَنَـت الجَزِيرَةَ العَرَبِيَّةَ وَتَفَرَّقَتْ فِـيهَا وَتَنَاسَلَتْ، كَانَ مِنْهَا قَحطَانُ بْنُ عَابِرِ بْنِ أَرْفَخْشذٍ ، الَّذِي كَانَ يُلَقَّبُ : أَبَا اليَمْنِ.

وَوُلِدَ لِقَحطَانَ وَلَدٌ اسْمُـهُ يَعْرُبُ، الَّذِي كَانَ مِنْ أَوْلادِهِ زَعِيمٌ آخَرُ اسْـمُهُ يَشْجُبُ، ثُمَّ وُلِدَ عَامِرُ بْنُ يَشْجُبَ بْـنِ يَعرُبَ بنِ قَحطَانَ الَّذِي يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى أَرْفَـخْشَذِ بنِ سَامِ بنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ.

كَانَ عَامِرُ هَذَا غُـلامًا وَضِيئًا وَسِيـمًا سَمَّاهُ أَبُوهُ لِفرْطِ حُسْنِهِ وَجَـمَالِهِ عَبَّ شَمْسٍ (أَيْ ضَوْءُ الشَّمْسِ) ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الاسْمُ الثَّانِي (عَبدُ شَمْسٍ).

وَصَارَ عَـبْدُ شَمْسٍ هَذَا مَلِكًا عَلَـى الْيَمَنِ، وَقَدْ عَـرَفَ عَنْهُ مُخَالِطُوهُ أَنَّهُ شَـابٌّ وَسِيمٌ شُجَاعٌ، حَازِمٌ عَاقِلٌ مُدَرَّبٌ، يُحِبُّ الخَيْرَ لِشَعْبِهِ وَالرَّخَاءَ لِبلادِهِ.

وَكَانَـتْ مَعَهُ بِطَـانَةُ خَيْرٍ وَوُزَرَاءُ صَـلاحٍ، يُرِيدُونَ الإِصْـلاحَ فِي الأَرْضِ وَلا يَبتَـغُونَ الفَسَادَ، فَكَـانَ يَسْتَشِيرُهُمْ، وَيُشِـيرُونَ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ الصَّـحِيحِ، فَيُنَفِّذُهُ وَلا يَسْـتَبِدُ بِرَأْيٍ، وَلا يَسْتَنْكِرُ مَشُورَةً.



قَالَ أَيْمَنُ: وَمَاذَا فَعَلَ عَبْدُ شَمْسٍ هَذَا لِرَخَاءِ بِلادِهِ وَخَيْرِ قَوْمِهِ؟.

قَالَ الوَالِدُ: اصْطَحَبَ عَبْدُ شَمْسٍ وُزَرَاءَهُ، وَأَصْحَابَ المَشُورَةِ فِي دَوْلَتِهِ، وَسَارُوا يُطوفُونَ فِي أَرْجَاءِ المَمْلَكَةِ، شَرْقًا وَغَرْبًا، وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، يَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَ القَبَائِلِ، وَيَتعرَّفُونَ عَلَى مَعَالِمِ الأَرضِ، وَيَخْتَبِرُونَهَا، وَيُشَاهِدُونَ جِبَالَهَا وَوِدْيَانَهَا.

إِلَى أَنْ نَزَلَ عَنْدَ وَادٍ فَسِيحٍ مِنَ الوِدْيَانِ الكَثِيرَةِ فِي نَوَاحِي مَملَكَتِهِ، وَتَأَمَّلَ ذَلِكَ الوَادِيَ، فَوَجَدَ أَرْضَهُ تَلْتَقِي عِنْدَهَا سُفُوحُ جِبَالٍ ثَلاثَةٍ، وَرَأَى بَيْنَ مُنعَرَجَاتِهَا خُطُوطًا يُدْرِكُ النَّاظِرُ إِلَيْهَا أَنَّهَا مِنْ صُنْعِ السُّيولِ، وَانْحِدَارِ مَاءِ المَطَرِ.

وَوَقَفَ عَبْدُ شَمْسٍ يَتَأَمَّلُ الوَادِيَ الفَسِيحَ وَالجِبَالَ المُحِيطَةَ بِهِ، وَتِلْكَ الخُطُوطَ وَالمنعَرَجَاتِ، وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: أَلَيْسَتْ هَذِهِ الخُطُوطُ مِنْ صُنْعِ مَسَايِلِ المَاءِ وَالمَطَرِ؟.

قَالُوا: بَلَى، إِنَّ السَّمَاءَ تُفرِغُ مَاءَ أَمْطَارِهَا عَلَى هَذِهِ الجِبَالِ فَتَنْحَدِرُ إِلَى الوَادِي حَسَبَ انْحِدَارِ أَرْضِهِ، يَتَّجِهُ بَعْضُهَا إِلَى الأَرْضِ الخِصْبَةِ، فَيَنمُو عَلَيْهِ بَعْضُ النَّبَاتِ وَالعُشْبِ وَالكَلأُ الَّتِي يَعِيشُ عَلَيْهَا بَعضُ النَّاسِ هُنَا، أَمَّا أَكْثَرُ هَذَا المَاءِ، فَيَتَشَتَّتُ بَيْنَ رِمَالِ الصَّحراءِ، فَتمتَصُّهُ، وَيَضِيعُ كَمَا تَضِيعُ مِيَاهُ الأَمْطَارِ الَّتِي تَهطِلُ عَلَى الجِبَالِ الأُخْرَى العَالِيَةِ، ثُمَّ تَنْحَدِرُ إِلَى البَحْرِ.

وَأَطْرَقَ عَبْدُ شَمْسٍ يُفكِّرُ فِي هَذَا المَاءِ الَّذِي يَسِيلُ فَوْقَ الرِّمَالِ، فَيَذْهَبُ إِلَى بِطَاحِ الصَّحراءِ، ثُمَّ يَنْدَفِعُ إِلَى البَحْرِ، دُونَ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ إِنْسَانٌ، فَلا يَرْوِي زَرْعًا، وَلا يُفِيدُ ضَرْعًا، وَلا تَكُونُ لَهُ ثَمرةٌ، وَالمفروضُ أَنَّهُ عَصَبُ الحَيَاةِ، الَّذِي مِنْهُ إِصْلاحُ كُلِّ شَيْءٍ.

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلْمحِيطِينَ بِهِ: إِنَّ الإِنْسَانَ الْعَاقِلَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَفِيدَ مِمَّا خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْعَيْشِ وَالرَّغَدِ، لِهَذَا لابُدَّ أَنْ نُفكِّرَ فِي طَرِيقَةٍ لِتَخزِينِ هَذَا المَاءِ بِحَيْثُ لا يَضِيعُ هكَذَا هَبَاءً، طَرِيقَةٍ تَجعَلُنَا نَتَدبَّرُ فِي تَصْرِيفِ المِيَاهِ بِمَا يَعُودُ عَلَى أَهْلِ البِلادِ بِالخَيرِ وَالمَنْفَعَةِ.

قَالُوا : الرَّأْيُ لِلمَلِكِ، فَلْيَأْمُرْ بِمَا يَرَى، وَنَحْنُ تَحتَ أَمْرِهِ، مُنَفِّذُونَ لِمَا يَشَاءُ.

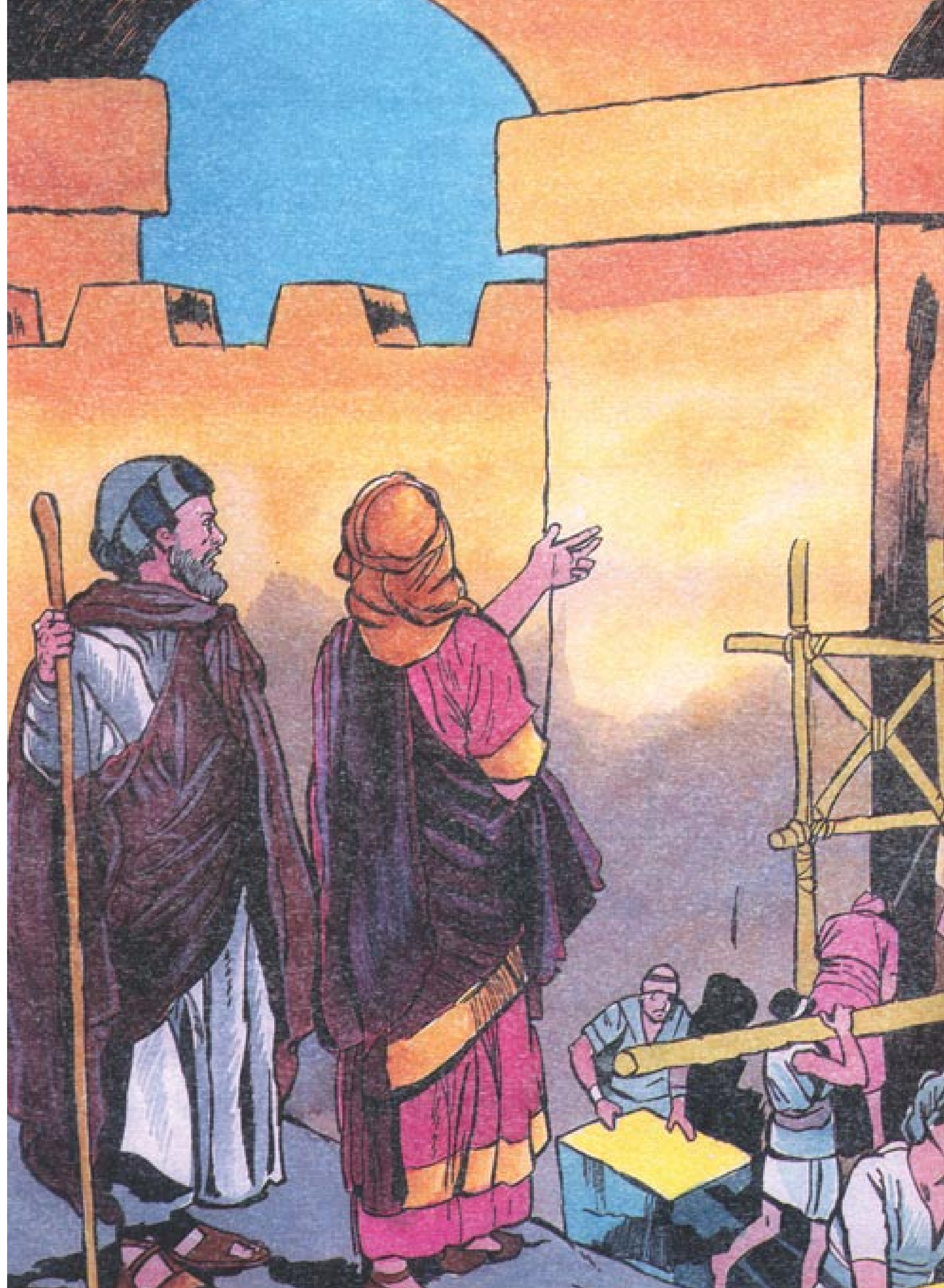
وَعَادَ عَبْدُ شَمْسٍ إِلَى قَصْرِهِ، وَعَقَدَ اجتِمَاعًا مَعَ أَصْحَابِ مَشُورَتِهِ، وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْ بِطَانَتِهِ، لِيَبْحَثُوا مَعَهُ، وَيُفَكِّرُوا فِي مَشْرُوعٍ يَحْفَظُ لَهُمُ الأَمْطَارَ، وَيَسْتَنْقِذُ المِيَاهَ الَّتِي تَضِيعُ مِنْ حَوْلِهِمْ بِلا فَائِدَةٍ.

وَطَالَتِ المُنَاقَشَةُ، كُلُّ وَاحِدٍ يَقُولُ رَأْيًا، فَيَنْقُدُهُ المُجْتَمِعُونَ، وَيَرَوْنَ فِيهِ عُيُوبًا تَضِيعُ مَعَهَا الْفَائِدَةُ، وَالمَلِكُ يَسْمَعُ، وَيَزِنُ كُلَّ رَأْيٍ بِحِكْمَةٍ، ثُمَّ أَنْهَى المُنَاقَشَةَ، بِرَأْيِهِ، وَكَانَ هُوَ الرَّأْيُ الأَخِيرُ، فَقَالَ: أَرَى أَنْ نُقِيمَ سَدًّا، فَنَبْنِي بُنْيَانًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِعَرْضِ الوَادِي الَّذِي تَنْحَدِرُ مِيَاهُ الأَمْطَارِ إِلَيْهِ، وَبِذَلِكَ تَنْحَبِسُ المِيَاهُ خَلْفَ ذَلِكَ السَّدِّ، وَنَجْعَلَ فِيهِ عُيُونًا تُفْتَحُ وَتُقْفَلُ لِتَصْرِيفِ المَاءِ بِقَدْرِ الحَاجَةِ وَحَسَبِ الرَّغْبَةِ، فَنَأْمَنَ جَفَافَ الأَرْضِ، وَنَضْمَنَ لِلزَّرْعِ دَوَامَ الرِّيِّ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ كَانَ ذَلِكَ الوَادِي الْقَفْرِ الجَدْبِ كَخَلِيَّةِ النَّحْلِ الَّتِي لا تَكُفُّ فِيهَا الحَرَكَةُ، فَقَدْ أَتَى المَلِكُ بِالفَعَلَةِ وَالبَنَّائِينَ وَالمُهَنْدِسِينَ مِنْ أَنحَاءِ المَمْلَكَةِ، وَاحْتَشَدَ العُمَّالُ وَالصُّنَّاعُ، وَزَخَرَ المَكَانُ بِالرِّجَالِ كُلٌّ مِنْهُمْ يَقُومُ بِمُهِمَّةٍ أُوكِلَتْ إِلَيْهِ وَرَاحَ يُنَفِّذُهَا بِدَأَبٍ وَصَبْرٍ، لِيَتِمَّ العَمَلُ وَيَكْتَمِلُ البِنَاءُ.

وَاسْتَمَرَّ العَمَلُ وَقْتًا طَوِيلاً، حَتَّى بَلَغَ البِنَاءُ الحَدَّ الَّذِي قَدَّرُوهُ لَهُ، وَفُتِحَتْ لَه عُيُونٌ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، أَوْ بِجِوَارِ بَعْضٍ، يَسْهُلُ فَتْحُهَا إِذَا كَانُوا فِي حَاجَةٍ لِلمَاءِ، وَيُحكَمُ إِغْلاقُهَا إِذَا لَمْ يَكُونُوا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ، بِطُرُقٍ هَندَسِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ، يَتَشَعَّبُ المَاءُ مِنْهَا عَلَى ثَلاثِينَ قَنَاةً، تَسِيرُ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ يَمِينًا وَشِمَالاً، وَانْتَهَى البِنَاءُ كَمَا يُرِيدُهُ المَلِكُ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ الَّذِي هَدَاهُ إِلَى هَذِهِ الفِكْرَةِ المُبْتَكَرَةِ الَّتِي لَمْ يَأْتِ بِهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ، وَانْصَرَفَ العُمَّالُ، وَعَادُوا إِلَى دِيَارِهِمْ، وَانْتَظَرَ النَّاسُ ثَمَرَةَ مَا أَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ، وَمَا بَذَلُوهُ مِنْ تَعَبٍ، حَتَّى تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ البِنَاءُ.





وأَتَتْ مواسمُ الأَمْطَارِ، وَجَـادَتِ السَّمَاءُ بالغَيْثِ، وانْحَدَرَ المَاءُ فِي المَـسَايِلِ الَّتِي أُعِدَّتْ لَهُ فِي ذَلِكَ الوَادِي، وَحَبَسَ السَّدُّ المِيَاهَ عَنِ التَّسرُّبِ وَالضَّيَاعِ، ثُمَّ صُرِفَ فِي القَنَوَاتِ، وسَارَ فِيهَا ، يَحملُ الخَيْرَ وَالنَّمَاءَ وَالحَيَاةَ وَالنَّضَارَةَ إِلَى كُلِّ مَا حَوْلَ هَذِهِ الْقَنَوَاتِ مِنْ أَمَاكِنَ.

وَتَحقَّقَ حُلْمُ عَـبْدِ شَمْسٍ، وَتَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ، وَأَصْبَحَ السَّـدُّ وَاقِعًا بَعْدَ أَنْ كَـانَ خيالاً، وَالحُلمُ حَقِيقَةً يَأْتِي مَعَهَا العَيْشُ الرَّغِيدُ لِشعْبٍ سَعِيدٍ.

وَعَلَى مَرِّ السِّنِينَ، وَتَتَابُعِ الأَجْيَالِ، وَعَلَى تَوَالِي المُلُوكِ الَّذِينَ حكَمُوا اليَمَنَ، كَانَ سَدُّ مَأْرِبٍ قَائِمًا يَفِـيضُ مَاؤُهُ بِالخَيْرِ عَلَى مَدِينَةِ سَـبَأٍ فَيَسقِي أَبْنَاءَهَا وَحَيَـوَانَها، وَيَرْوِي زُرُوعَهَا، فَيَزِيدُهَا نُمواًّ وكَثْرَةً.

قَالَتْ إِيمَانُ: ومَاذَا عَنِ اسْمِ سَبَأٍ، فَنَحْنُ لَمْ نَعْرِفْ عَنْهُ شَيْئًا طِيلَةَ هَذَا الحَدِيثِ.

قَالَ الوَالِدُ: يَقُولُ المُؤَرِّخُونَ أَنَّ سَبَأً هُوَ عَبْدُ شَمْسٍ نَفْسُهُ، وَقَدْ أَسْمَوْهُ بِذَلِكَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَعَ أَسْرَ الأَسْرَى فِي الحُرُوبِ، وَسَبْيِ السَّبَايَا، فَقَـالُوا: عَبدُ شَمْسٍ سَبَأٌ، وَأَصْبَحَ اسْمُهُ هَذَا سَبَأٌ، مَشْهُوراً بَيْنَ القَبَائِلِ.

وَيَقُولُ المُؤَرِّخُونَ: وَمَاتَ سَبَأٌ، أَوْ عَبدُ شَمْسٍ بَعْدَ أَنْ أَنْجَبَ عَشْرَةً مِنَ الأَوْلادِ، يَرِثُونَ تَرِكَتَهُ وَيَحملُونَ رِسَالَتَهُ، وَانْتَهَتْ بِذَلِكَ قِصَّةُ سَبَـأٍ الرَّجُلِ، وَابْتَدَأَتْ قِصَّةُ سَبَأٍ القَبَائِلِ، وَسَبَأٍ البَلَدِ، فَقَدْ أَصْبَحَتِ القَـبَائِلُ المتَفَرِّعَةُ مِنْ ذُرِيَّةِ عَبدِ شَمْسٍ، تُسَمَّـى قَبَائِلَ سَبَأٍ، وَالمدِينَةُ الَّتِي يَنْزِلُونَ فِيهَا مَدِينَةَ سَبَأٍ.

وكَانَ أَبْنَاءُ سَبَأٍ أَوْفِيَاءَ لِسَدِّ مَـأْرِبٍ، وَاعْتَنَوْا بِهِ أَعْظَمَ العِنَايَةِ، وَاهْتَمُّوا بِملاحَظَتِهِ أَعْظَمَ الاهْتِمَامِ، لا يَتَوَانَوْنَ عَنْ بَذْلِ الجُهْدِ فِي تَرْمِيمِهِ، وَالسَّخَاءِ بِالمَالِ فِي سَبيلِ عِلاجِهِ، وَإِصْلاحِ مَا يَبْدُو فِيهِ مِنْ خَلَلٍ.

وَجَاءَتْ بُلْقَيْسُ ملكَةً عَلَى سبأٍ، وكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَملكُ فِي العَرَبِ، فَوجَّهَتْ إِلَى السَّدِّ عِنَايَةً أَكثَرَ مِمَّا كَانَ يَبذُلُهُ قَبلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ، فَأَنْفَقَتْ مِنَ المَالِ وَالجُهدِ فِي تَطْوِيرِ السَّدِّ مَا جَعَلَهُ طَبَقَات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهَا عُيُونٌ، وَبِذَلِكَ زَادَت الرُّقْعَةُ الَّتِي يُحجَزُ فيهَا المَاءُ خَلْفَ السَّدِّ، وَشَهِدَ وَادِي مَأْرِبٍ مِنْ جَدِيدٍ أَكثَرَ مِمَّا شَاهَدَ مُنذُ مِئَات السِّنِينَ، وَتَشعَّبَتْ مَجَارِي المَاء تَرْوِي سَبَأَ رَيًّا فَوْقَ رَيٍّ، وَبَعدَ رَيٍّ، وَتَحملُ إِلَيْهَا حيَاةً فَوْقَ حيَاة، وَعَمَّتِ المِيَاهُ سَطْحَ الجَبَلَيْنِ اللَّذَيْنِ بَينَهُمَا السَّدُّ، فَصَارَ الجَبلانِ وَمَا حَولَهُمَا جَنَّتَيْنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

وَصَارَتِ الأَرْضُ الجَدْبَاءُ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ، تَبْعَثُ فِي الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ إِيمَانًا بِاللهِ، وَاعْتِرَافًا بِقُدْرَتِهِ، وَمَزِيدًا مِنْ طَاعَتِهِ، وَالوَفَاءِ بِحَقِّهِ شُكْرًا وَاعْتِرَافًا بِنِعَمِهِ.

فَهَلْ كَانَ أَهْلُ سَبأٍ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ، شَاكِرِينَ لَهُ عَلَى مَا آتَاهُمْ، وَهَلْ حَمِدُوا الله نِعْمَتَهُ وَكَرَمَهُ؟ لَقَدْ كَانَ الْعَكْسُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الوَاقِعُ، وَلَقَدْ عَرفْنَا فِي قِصَّةِ سُلَيمَانَ -عَلِيهِ السَّلامُ- مَعَ بُلْقَيْسَ، أَنَّ أَهْلَ سَبأٍ كَانُوا وَثَنِيِّينَ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَهَا يَسْجُدُونَ، كَمَا عَرَفْنَا أَنَّ بُلقَيْسَ أَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيمانَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى قَوْمِهَا تَدْعُوهُمْ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَمَرَّتْ عَلَى مَدِينَة سَبَأ وَأَهْلِهَا حِقْبَةٌ أُخرَى مِنَ الزَّمَنِ، كَانَت المَدِينَةُ فِيهَا جَنَّةً مِنْ جَنَّات الدُّنْيَا النَّاضِرَة، تَقْسِمُهَا مِيَاهُ السَّدِّ إِلَى رَوْضَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مُثْمِرَتَيْنِ، قُطُوفُهُمَا دَانِيَةٌ، قَدْ تَقَارَبَتْ فِيهَا الأَشْجَارُ العَالِيَةُ، وَتَشَابَكَتِ الأَغْصَانُ الْمُورِقَةُ، وَانْتَشَرَتْ هُنَا وَهُنَاكَ الأَزْهَارُ وَالرِّيَاضُ.

لَقَدْ صَارَتْ رِمَالُ الصَّحْرَاءِ بُسُطًا هَنْدَسِيَّةً خَضْرَاءَ، تَجْرِي بَيْنَهَا الْقَنَوَاتُ الْمُلْتَوِيَةُ، وَتَصدَحُ فَوْقَ أَشْجَارِهَا الأَطْيَارُ الْمُغَرِّدَةُ، وَكَمَا بَارَكَ اللهُ لِسبأ فِي أَرْضِهَا وَزَرْعِهَا وَبَسَاتِينِهَا لَطَّفَ لَهَا فِي جَوِّهَا وَرِيحِهَا وَهَوَائِهَا، فَكَانَ جَوُّهَا مُعْتَدِلاً، وَسَمَاؤُهَا صَحْوًا وَرِيحُهَا عَبِقًا، وَهَوَاؤُهَا نَسِيمًا عَلِيلاً، حَتَّى لَقَدْ وَصَفَهَا القُرآنُ الكَرِيمُ بِأَنَّهَا ﴿**بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ**﴾ .

وَقَالَ المُفَسِّرُونَ أَنَّ مِنْ طِيـبِهَا أَنَّ أَهْلَهَا لَمْ يَرَوْا فِيهَا بَعُوضَةً قَطُّ، وَلا ذُبَابًا، وَلا بَرْغُوثًا وَلا قَملَةً، وَلا عَقْرَبًا ، وَلا حَيَّةً، وَلا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الحَشَـرَاتِ وَالهَوَامِّ، وَإِذَا جَـاءَهُمُ الرَّكْبُ، وَكَانَ فِي ثِيَابِهِمُ القَمْلُ وَالهَوَامُّ، فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ مَـاتَتِ الهَـوَامُّ، وَذَلِكَ لِطِيبِ هَوَائِهَـا، وَنَظَافَـةِ أَرْضِهَا، وَهِيَ نِعَمٌ مِنَ اللهِ لَمْ يَجْمَعْ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ هكَذَا، وَيُنْعِمُ بِهَا عَلَى أَحَـدٍ مَرَّةً وَاحِدَةً، إِلا عَلَى أَهْلِ سَبَأٍ.



لَقَدْ كَانَتِ المَرْأَةُ تَحملُ سَلَّتَهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَتَتَلَّهَى بِمَـغْزَلِهَـا، أَوْ تَحْمِلُ وَلَدَهَا، أَوْ تَشْـغَلُ نَفْسَهَا بِأَيِّ شَيْءٍ ، دُونَ أَنْ تُعْطِيَ بَالاً لِسلَّتِهَا وَمَا يَتَسَاقَطُ فِـيهَا، فَلا تَمْضِـي فِي السَّيْرِ خطَوَاتٍ، حَتَّى تَكُونَ السَّلَّـةُ قَدِ امْتَـلأَتْ بِالثِّمَارِ المُتَـسَاقِطَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الفَوَاكِهِ الشَّهِيَّةِ.



وَاتَّسَعَتْ لَدَيْهِمُ النِّعْمَةُ، وَفَاضَ عِنْدَهُمُ الخَيْرُ، وَاشْتَغَلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بِالتِّجَارَةِ وَالرِّحْلاتِ، فَكَانُوا يَسِيرُونَ إِلَى الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا مِنَ الحِجَازِ وَالشَّامِ آمنينَ مُطْمَئِنِّينَ، لا يَسِيرُونَ مَرْحَلَةً أَوْ مَرْحلَتَيْنِ، حَتَّى يكُونَ اللهُ قَدْ هَيَّأَ لَهمْ مكَانًا يَسْتَرِيحُونَ فِيهِ مِنَ التَّعبِ، وَيَغْتَسِلُونَ إِذَا احْتَاجُوا إِلَى اغْتِسَالٍ، وَيَطْعَمُونَ إِذَا كَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى طَعَامٍ، وَيَتَبَلَّغُونَ بِالزَّادِ الطَّيِّبِ وَالمَاءِ العَذْبِ، وَهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ آمِنُونَ مُطْمَئِنُونَ، فَهَا هِيَ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِمْ، نِعْمَةٌ تَجِيءُ بَعْدَ نِعْمَةٍ، وَفَضْلٌ مِنَ اللهِ يَأْتِي بَعْدَهُ فَضْلٌ، وَآيَاتٌ مِنَ اللهِ بَيِّنَاتٌ بِأَنَّهُ يُسْبِغُ عَلَى عِبَادِهِ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَأَنَّهُ كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ **بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** ﴾.

وَلَكِنْ أَغْوَاهُم إِبْلِيسُ وَضَلَّلَهم فَاتَّبَعُوهُ، وَكَفَرُوا بِأَنْعُمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَأَرْسَلَ اللهُ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَ يَنْصَحُونَهُمْ وَيَعِظُونَهُمْ، وَيُبَلِّغُونَ إِلَيْهِمْ رِسَالاتِ رَبِّهِمْ.

يَقُولُ المُفَسِّرُونَ أَنَّهُمْ أَتَاهُمْ ثَلاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا، فَعَصَوْا وَضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا، وَبَالَغُوا فِي البَطَرِ وَالأَثَرَةِ، وَلَمْ يَرْضَوْا بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ طِيبِ العَيْشِ، فَوَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَكْبَرُوا، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنِ الْعَمَلِ، وَشُغِلُوا عَنِ العُمْرَانِ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُذِيقَهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ، وَأَنْ يُرِيَهُمْ عَاقِبَةَ كُفْرَانِهِمْ، لِيَكُونُوا عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ، وَمَثَلاً لِمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ، وَعُقُوبَةً قَاسِيَةً لِمَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَهُمْ، وَيَفْعَلَ فِعْلَتَهُمْ.

وَكَانَ جَزَاءُ اللهِ لَهمْ أَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ، فَأَغْرَقَهُمْ وَدَمَّرَ جَنَّتَيْهِمْ، ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، وَأَبْدَلَهُمْ مِنْهُمَا جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ ثَمَرٍ رَدِيءٍ مُرِّ الطَّعْمِ لا يُمكِنُ أَكْلُهُ، وَشَجرٍ قَلِيلٍ يَسِيرٌ نَفْعُهُ، وَشَتَّتَ قَبَائِلَهُمْ فِي البُلْدَانِ، وَتَبَاعَدَتْ عَلَيهِمُ المَسَافَاتِ، وَشَقَّ عَلَيهِمُ السَّفَرُ وَالتِّرْحَالُ.

وَيَقُولُ المُفَسِّـرُونَ: أَنَّ كُهَّانَهُمْ قَدْ تَنَبَّـأُوا لَهُمْ بِذَلِكَ قَبْلَ وُقُوعِهِ، فَـحَاوَلَ بَعْضُ المُلُوكِ مِمَّنْ تَوَلَّوْا مُلْكَ سَبَأٍ أَنْ يَتَّـقُوا السَّيْلَ، وَيَحمُوا سَدَّ مَأْرِبٍ، بِتَرْمِيمِ مَـا يَحدُثُ فِيهِ مِنْ خَلَلٍ، وَلَكِنْ مَا قَسَمَهُ اللهُ لأَهْلِ مَأْرِبٍ كَانَ لابُدَّ أَنْ يُصِيبَهُمْ، وَمَا خَطَّهُ لَهُمْ فِي لَوْحِ القَدرِ كَانَ لابُدَّ أَنْ يَنَالَهُمْ، فَوَقَعَ مَا أَرَادَ اللهُ وَتَهَدَّمَ السَّدُّ.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَهَلِ انهَارَ السَّدُّ هَكَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، أَمْ حَدَثَ الخَلَلُ فِيهِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ إِلَى أَنْ كَانَتْ نِهَايَتُهُ؟، قَالَ الوَالِدُ: يَرْوِي المُؤَرِّخُونَ فِي ذَلِكَ رِوَايَةَ طَرِيفَةَ فَيَقُولُونَ:

كَانَ عَمْـرُو بْنُ عَامِرٍ - صَاحِبُ الرِّيَاسَةِ فِي سَـبأٍ- جَالِسًا بَيْنَ قَوْمِـهِ، إِذْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ كَاهِنَةٌ تَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْب وكَانَ اسْمُهَا طَرِيفَةٌ، فَسَارَتْ حَتَّى أَتَتْ عَمْرًا، وَوَقَفَتْ أَمَامَهُ تَقُولُ: وَالأَرْضِ وَالسَّمَاءْ، وَالظُّلمَـةِ وَالضِّيَاءْ، لِيُقْـبِلَنَّ إِلَيْكُمُ المَاءْ، كَالبَحرِ إِذَا طَمَـا، فَيَدَعُ أَرْضَكُمْ خَلا.

وَانْزَعَجَ الْقَوْمُ لِمَا يَسْـمَعُونَ، وَدُهِشُـوا مِنْ قَوْلِ الْكَاهِنَةِ، فَسَـأَلَهَا عَمْرٌو قَـائِلاً: وَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا طَرِيفَةُ؟.

قَالَتْ : بَعْـدَ سِتٍّ عَدَدًا، يَأْتِيكُمُ السَّيْلُ بِفَـيْضٍ هَبِيلٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، وَأَمْـرٍ ثَقِيلٍ، فَيخَرِّبُ الدِّيَارَ، وَيُذْهِبُ الأَمْوَالَ.

قَالَ عَمرٌو: لَقَدْ فَجَعْتِنَا فِي دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا يَا طَرِيفَةُ، فَبَيِّنِي مَقَالَتَكِ، وَاشْرَحِي قَوْلَكِ.

قَـالَتْ: احْرسُـوا السَّدَّ ، وَإِنْ كَـانَ لابُدَّ مِنَ الأَمْـرِ المعدِّ، انْطَلِقُـوا إِلَى رَأْسِ الوَادِي تَتَأَكَّدُوا مِنْ صِدْقِ مَقَـالِي، فَهُنَاكَ سَتَرَوْنَ الجُرَذَ - الْفَأْرَ- العَادِي، قَدْ نَـقَب الصَّخْرَ، وَحَفَرَ الأَرْضَ، بِأَظَافِرَ شِدَادٍ، وَأَنْيَابٍ حِدَادٍ.



سَمعَ عَمْــرُو بْنُ عامرٍ قَوْلَ الْكَاهنَة، فَانْطَلَقَ مَعَ جَـماعَةٍ منْ قَوْمه حَـتَّى أَشْرَفُوا عَلَى أُسُسِ السَّدِّ وَجُـدْرَانه ، فَإِذَا بِجرْذَانٍ حُمْـرٍ- أَيْ فئرانٍ لَوْنُهَا أَحْـمَرُ- قَدْ حَفَـرتْ فِي جُدْرَانِ السَّدِّ، وَنَقَّبَتْ فِي صُخُوره، فَوَقَفَ الْقَوْمُ مَـبهُوتِينَ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ولِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ: لَقَدْ صَدَقَتْ طَرِيفَةُ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُصِيبُنَا مَا قَالَتْ.

واسْتَـقَرَّ رَأْيُ عَمْـرٍو وَقَوْمِهِ عَلَى أَنْ يُغَـادِرُوا أَرْضَ سَبَأٍ، قَـبْلَ أَنْ تَحلَّ بِهِمُ الكَارِثَةُ، وَسَارُوا فِي صَحْرَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، يَخْتَارُ كُلٌّ منْهُمْ مَكَانًا يَنْزِلُ فيه، وَبِهَذَا تَفَرَّقُوا فِي البِلادِ، وَتَبَعْثَرُوا فِي أَنْحَاءِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ. حَتَّى لَكَانَتِ الْقَبِيلَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ، وَالأُسْـرَةُ تَنْشَطِرُ إِلَى شَطْرَيْنِ، فَيُقِيمُ كُلٌّ منْهُمْ فِي نَاحِيَةٍ بَعِيدَةٍ كُلَّ البُعْدِ عَنْ بَقِيَّةِ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ.

وَتَحَقَّقَتْ نُبُوءَةُ طَرِيفَةَ بَعْـدَ وَقْتٍ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، فَجَاءَ السَّيْلُ، وَطَغَى عَلَى السَّدِّ الَّذِي نَخَرَتِ الفِئرَانُ فِي أُسُسِه، فَتَصدَّعَ ووَهَنَتْ جُدْرَانُهُ، فَهَدَّمَهُ وَأَطَاحَ بِهِ، ثُمَّ طَغَى المَاءُ، يَحملُ فِي طَيَّاتِهِ الصُّخورَ، فَأَغْرَقَ الحَدَائِقَ، وَطَمَرَ البَسَاتِينَ، وَخَرَّبَ الدُّورَ وَالقُصُورَ.

لَقَدْ تَـهدَّمَ السَّدُّ، وَتَقَـوَّضَ البِنَاءُ، وَلَمْ يَسْـتَطِعْ أَنْ يَحْجـزَ السُّيـولَ المُندَفِعَةَ، فَـهَلَكَ الضَّرْعُ، وَغَرَقَ الزَّرْعُ، وَعَادَ الوَادِي كَمَـا كَانَ صَحْرَاءَ مُقْفِرَةً، صَامِتَةً مُجـدبَةً، لا نَبَاتَ فِيهَا سِوَى أَشْـجَارٍ لا تُثمِرُ إِلا كُلَّ مُـرٍّ بَشِعٍ، وَأَثْلٍ لا غَنَاءَ فِيـهِ، وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، وَهَرَبَتِ الْعَصَافِيرُ وَالـبَلابِلُ، وَخَلَّفَهَا البُومُ يَصِيحُ فَوْقَ الخَرَائِبِ، وَالغِـرْبَانُ تَنْعَقُ فَوْقَ ذُرَى الأَشْجَارِ الجَافَّةِ، لَقَـدْ كَانُوا فِي نِعْمَـةٍ سَابِغَةٍ فَلَمْ يَحفَظُوهَا، وَثِيَـابٍ مِنَ العِزِّ ضَافِيَـةٍ فَلَمْ يَصُونُوهَا، فَجَزَاهُمُ اللهُ بِمَا كَفَرُوا: ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلا الكَفُورَ**﴾.

وَذَهَبَتْ مَدِينَةُ سَبأ، الَّتِي أَنْشَأَهَا وَعَمَّرهَا وُجُودُ ذَلِكَ السَّدِّ فِيهَا، ثُمَّ خَرَّبَهَا وَدَمَّرَ كُلَّ مَا فِيهَا انْهِيَارُ ذَلِكَ السَّدِّ نَفْسِهِ.

وَذَهَبَتِ الْقَبَائِلُ البَاقِيَةُ مِنْ أَهْلِ سَبَأٍ تَدُورُ فِي الصَّحْرَاءِ هُنَا وَهُنَاكَ، تَبْحَثُ عَنْ مَلْجَأٍ لَهَا، أَوْ مَكَانٍ تَأْوِي إِلَيْهِ، كَمَا فَعَلَ أَخَوَاتُهَا مِنْ قَبْلُ بِقِيَادَةِ عَمْرِو بن عَامِرٍ.

وَانْتَهَتْ قِصَّــةٌ هِيَ إِحْدَى أَعَاجِيبِ القَدَرِ، وَآيَاتُ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَأَصْبَـحَتْ مَضرِبَ المَثَلَ حَتَّى أَنَّ العَـرَبَ يَقُولُونَ عَـمَّن يَفترِقُـونَ «لَقَدْ ذَهَبُوا أَيْـدِى سَبأ»، وَصَـارَ هَؤُلاءِ القَوْمُ مضربًا للأَمْثَالِ عَلَى طُولِ الدَّهْرِ، وَصَحَّ فِيهِم قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾.

وَخَتَمَ أَبُو أَيْمَنَ حَدِيثَهُ قَائِلاً: وَاقْرَءُوا تِلكُمُ الآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي سُورَةِ سَبَأٍ عَنْ أَهْلِ سَبَأٍ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) ﴾ [**سبأ**] صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ.

وَلَقَدْ تَمَتَّعت الأُسْرَةُ بِرِحْلَتِهَا، وَعَـادَتْ شَاكِرَةً للهِ عَلَى نِعَمِهِ، عَازِمَةً عَلَى دَوَامِ الشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ لأَنَّهُ بِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ.

وَإِلَى اللِّقَاء فِي القِصَّةِ التَّالِيَةِ (٩٦)

وَعُنْوَانُهَا: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)

الأَسْئِلَةُ

١- مَا الآيَةُ الَّتِي امتنَّ بِهَا اللهُ عَلَى أَهْلِ سَبَأٍ، وَمَا مَعْنَى كَوْنِها آيَةً؟.

٢- وَصَفَ القُرآنُ الكَرِيمُ البَلْدَةَ بِأَنَّهَا طَيِّبَةٌ، فَـمَا مَظَاهِرُ طِيبِهَا المُرَادِ فِي الآيةِ؟ وَهَلْ عَمِلَ أَهْلُهَا بِمَا يُنَاسِبُ هَذَا الطِّيبَ؟.

٣- مَنْ هُوَ سَبَأٌ، وَلِمَاذَا سُمِّيَ سَبَأً؟ وَمَا عَلاقَتُهُ بِعَبْدِ شَمْسٍ؟.

٤- كَيْفَ فَكَّرَ عَبْـدُ شَمْسٍ فِي طَرِيقَةٍ يَزِيدُ بِهَا الرَّخَاءُ فِي البِلادِ، وَيُنْتَـفَعُ بِهَا لِنَمَاءِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ، والمحَافَظَةِ عَلَى المَاءِ الضَّائِعِ فِي الصَّحْرَاءِ؟.

٥- مَا نَتِيجَةُ بِنَاء سَدِّ مَأْرِبٍ، وَالثَّمَرَةُ الَّتِي عَادَتْ عَلَى أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ بِنَائِهِ؟.

٦- هَلْ لِبُلْقَيْسَ عَلاقَةٌ بِالسَّدِّ، وَمَاذَا فَعَلَتْ فِيهِ؟.

٧- كَيْفَ حَـدَثَتِ النُّبُوءَةُ بِانْهِـيَارِ السَّدِّ؟، وَمَـاذَا فَعَلَ عَمْـرُو بْنُ عَامِرٍ عِنْدَمَـا سَمِعَ هَذِهِ النُّبُوءَةَ؟.

٨- كَيْفَ انْهَارَ السَّدُّ؟ وَلِمَاذَا؟ وَهَلْ لِذَلِكَ عَلاقَةٌ بِالطَّاعَةِ أَوِ الْعِصْيَانِ؟.

٩- كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الكَفُورِ؟ وَلِمَاذَا يَرْوِي لَنَا القُرْآنُ الكَرِيمُ أَمْثَالَ هَذِهِ القَصَصِ؟.

دَرْسُ النَّحْوِ

المَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ

مِنَ الأَسْمَاءُ الَّتِي تُنْصَبُ اسْمٌ هُوَ المَفْـعُولُ مِنْ أَجْلِهِ، أَوِ المَفْعُولُ لَهُ، وَهُوَ الاسْمُ الَّذِي يَكُونُ سَـبَبًـا لِوُقُوعِ الفِـعْلِ، كَأَنْ تَكُونَ جَـالِسًا مَعَ قَـومٍ مَثَـلاً، وَيَأْتِي أَحَدُ الرِّجَـالِ الَّذِينَ تَحْتَرِمُهمْ، فَتَقُومُ لِلتَّرحِيبِ بِهِ، وَتَقُولُ: إِنَّمَا قُمتُ تَرْحِيبًا بِفُلانٍ.

فَكَلِمَةُ «تَرْحِيبًا» هِيَ اسْمٌ مَنْصُوبٌ لأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، فَهُوَ سَبَبُ القِيَامِ.

وَلابُدَّ أَنْ يَجتمِعَ فِيهِ شُرُوطٌ خَمْسَةٌ:

١ - أَنْ يَكُونَ مَصدرًا.

٢ - أَنْ يَكُونَ قَلبيًّا، أَيْ لا يَكُونَ دَالاً عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعمَالِ الجَوَارِحِ كَاليَدِ وَاللِّسَانِ: مِثلَ. قِرَاءَةً وكِتَابَةً.

٣ - أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِمَا قَبْلَهُ.

٤ - أَنْ يَكُونَ مُتَّحِدًا مَعَ عَامِلِهِ فِي الوَقْتِ.

٥ - أَنْ يَتَّحِدَ مَعَ عَامِلِهِ فِي الفَاعِلِ.

وَكُلُّ اسْمٍ اسْتَوْفَى هَذِهِ الشُّرُوطَ يَجُوزُ فِيهِ أَمْرَانِ:

أ - **النَّصْبُ**: مِثلُ المِثَالِ السَّابِقِ، قُمتُ تَرْحِيبًا بِفُلانٍ.

ب - **الجرُّ بحروفِ الجرِّ الدَّالَةِ عَلَى التَّعلِيلِ** مِثْلُ: قُمتُ لِلترحِيبِ بِالزَّائِرِينَ، وَفَعَلْتُ كَذَا لِمحبَّةِ الخَيرِ.. وَهكَذَا.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث